هذا هو السبب الجمالي لمتعة النص، الذي يقف همزة وصل بين أطراف العالم ليعيد ترتيب العلاقة داخلها، فيؤسس فينا لذة، لذة جمالية من نوع جديد ومختلف ويطلق فعله فينا، ذلك الفعل الذي يصفه الجرجاني:

«في أنه يعمل عمل السحر في تأليف المتباينين حتى يختصر لك بعد ما بين المشرق والمغرب، ويجمع ما بين المُشْئم والمُعْرق، وهو يريك للمعاني الممثلة بالأوهام شبهاً في الأشخاص الماثلة، والاشباح القائمة، وينطق لك الأخرس، ويعطيك البيان من الأعجم، ويريك الحياة في الجماد، ويريك التئام عين الأضداد، فيأتيك بالحياة والموت مجموعين»[40].

تلك غاية التشبيه إذن، هي غاية تتجه نحو التباين والأضداد والمختلفات لكي تجعل الوهم حقيقة والحقيقة وهماً، أما نشدان المشاكلة فمسألة تخرج عن غاية الشعر، وهذا ما يحدده الجرجاني ناقضاً به رأي العموديين حول لغة الأدب فيقول:

«إن الأشياء المشتركة في الجنس المتفقة في النوع تستغني بثبوت الشبه بينها وقيام الاتفاق فيها عن تعمل وتأمل في إيجاد ذلك لها وتثبيته فيها، وإنما الصنعة والحذق والنظر الذي يلطف ويدق في أن تجمع أعناق المتنافرات والمتباينات في ربقة وتعقد بين الاجنبيات معاقد نسب وشبكة»[41].

وهنا يسقط شرط أشهر الصفات، لأن (هناك مشابهات خفية

(40) المرجع السابق 118.

(41) المرجع السابق 136.